الجزء العاشر

التحليل النقدي لما ورد في خطبة الدكتور عدنان إبراهيم

بخصوص سن زواج عائشة أم المؤمنين

بين يدي التحليل

المنة موصولة أولاً لمن تولى، مشكوراً، رقن هذا النص من الخطبة ونشرها على "الفيس بوك".

وقد تبين لي من معاينة أولى للنص أنه يحتوي على بعض أخطاء، وبألفاظ لم تضبط، مما اضطرني إلى مقابلة هذا النص مجدداً بالخطبة المرئية المسموعة، وتصحيح الأخطاء منها.

ووددت لو أن الدكتور عدنان إبراهيم نشر نص الخطبة مصحوباً بمراجعه وملحقاته في بحثه الأصلي، حتى يتمكن القراء، وعلى قلتهم، مقارنة مع عدد المشاهدين، من الاستفادة القصوى من النص المكتوب، والذي له متطلبات عرضية وسردية وتوثيقية يستغني عنها النص الشفهي المسموع.

هذا، وقد وجدتني أرجع كثيراً إلى الخطبة السمعية البصرية لألتقط منها نبرة الخطيب وتقاسيم وجهه وحركات جسده في بعض المقاطع حتى ألتقط منها نفسه وانفعالاته مع نصه.

وهي لغة لا يمكن نقل شيء منها في النص العاري المكتوب المستقل عن كل كاتب وكل قارئ وكل مُلقي وكل مُتلقي.

وبما أن هذه الإحالات قد استغنى عنها النص الذي بين أيدينا، فلا يبقى أمامنا سوى تتبع ما ورد منها صريحاً في الخطبة من دون لبس، كي لا نحمل النص ما لا يحتمل.

وكنت اتوخى، ضمن سياق هذه الردود، على ما فصلنا في الأجزاء التسعة السابقة، أن أكتفي من الخطبة **بما ورد فيها** بخصوص **سن عائشة أم المؤمنين** عند دخول **الرسول صلى الله عليه وسلم** بها خاصة، **دون باقي ما تعرضت له الخطبة**، لارتباط الموضوع بمبحثنا الأصلي، حيث كنت سأقوم، بعرض ما قاله الخطيب بخصوص هذا الموضوع، وأقارنها بما خرجنا من أخبار في الأجزاء الأولى الأربعة من هذه البحوث، لأناقشها، على غرار ما قمنا به في ردنا على **الدكتور الشريف العوني** 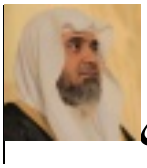 في الأجزاء: الخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع من هذه البحوث،....

إلا أنه تبين لي أن عزل موضوع **سن زواج أم المؤمنين عائشة**، من سياق الخطبة التي ورد فيها، سيبتره لا محالة من مقدمات ضرورية لفهم أسباب إيراد الخطيب له وقصديته من إيراد تلك المقدمات موطئاً بها لموضوعه الرئيس.

أضف إلى ذلك أننا بإزاء خطبة وعظ بمتطلباتها الشرعية والدعوية ولسنا في إطار معالجة بحث علمي صرف، بمتطلباته النقدية المعهودة.

هذا وقد توسعت في إيراد بعض النصوص الميتالغوية الشارحة التي يتطلبها المقام، تنويعاً على النص في صيغته المكتوبة التي بين أيدينا.

ونظراً لطول الخطبة، وبغية تيسير الإحالة على بعض فقراتها أثناء التحليل، فقد قسمتها إلى مقاطع وضعت لها عناوين فرعية مستشفة من الفقرة المعنية، بحسب ما تعرضت له من موضوعات.

نص الخطبة

المقطع الأول: النيل من الرموز

أيها الإخوة المسلمون الأحباب، أيتها الأخوات المسلمات الفاضلات :

حديثي إليكم اليوم في موضوع يأسى له المؤمن ويحزن وينقبض، موضوع طائفةٍ أو ثلةٍ قلـــت أو كثرت من هذه الأمة تزعم، لا يطيب لهم إلا أن يحطموا ثوابت هذه الأمة وأن يشغبوا على عقائدها وأن **ينالوا من رموزها الخالدة.**

وفي مقدمة هذه الرموز ينتصب شامخاً خالداً باذخاً مجيداً، **خير خلق الله عليـــه الـــصلاة وأفضل السلام**، سيد العرب والعجم أشرف المخلوقات وأكرم الموجودات من أنقذ الله بـــه الـــدنيا والبشرية عن العمه والعمى، فتح به أعينًا عمياً وآذان صماً وقلوباً غلفاً، محمد بن عبد الله عليه الـــصلاة وأفضل السلام.

المقطع الثاني: تعالم الأقزام

بالأمس

هاتفني أحد الإخوة الأحباب وفي صدره كما يقال حسَكة،

وفي حلقه شجن، لأنه قرأ في موقع عربي لعرب مسلمين يزعمون ينالون من رسول الله، يزعمون وأين، وما ضر البحر أمسى زاخراً ، أنْ رمى فيه غلام بحجر، ولو كُل كلب عوى ألقمته حجراً،، لعـــز الصخر مثقالا بدينار، يزعمون أنهم ينالون منه من هذه القمة الشمَّاء الشامخة الباذخة عليه الصلاة وأفضل السلام، وهم الذين يتعانون من حالة وضاعة، ومن حالة رسوبية على المـــستوى الوجـــداني، النفـــسي، المعنوي، الفكري، الثقافي، لأن شخصاً أيها الإخوة يسلك هذا المسلك لا بد **ولا مناص أن يكون شخصاً مريضاً معتلاً في نفسه** قبل أن يكون منقوصاً في عقله ومغلوباً على حلمه، **لأنَّ من**

هم أعظم منه وأدرى وأوسع، ليس من المسلمين، من الغربيين، شهدوا لهذه القمة،

وهو غير محتاج لشهادتهم أصلاً عليه الصلاة وأفضل السلام،

لم يجدوا ما وجده هذا القِزْم عيباً يعاب به المصطفى عليه الصلاة والسلام أبداً، ومروا عليه مراً سريعاً، لأن لهؤلاء المنصفين أيها الإخوة، الذين يَجْهَدون أن ينظروا بمنظار علميٍ موضوعيٍ متزن وراق له من ضوابط النظر العلمي، ومنهجية البحث والدرس ما يعصمهم أنْ يتهاووا في مثل هذه المهاوي، أن يُسِفّوا هذا الإسفاف كله.

المقطع الثالث: أمي في النحو يكتشف !!! أغلاطاً!!! في القرآن الكريم

وقبل أسبوعين

يبعث إليّ أحد إخواننا هنا بالفاكس ورقة استلّها من الشبكة العنكبوتية كما يقولون، يزعم هذا الدارس الذي كتب هذه المقالة – **والعجيب أنه دارس للنحو**، درس النحو وتخصص فيه، **إلا أنني وجدته أجهل من نعله في النحو**،

وهذه بلوى العلم أيها الإخوة، وبلاء الحقيقة بهؤلاء الذين ينتسبون إلى العلم، وليسوا من أهل العلم لأن عقولهم قاصرة ولأن عَطَنَهم ضيق، جد ضيق، لأنَّ مواهبهم ببساطة وملكاتهم لا تؤهلهم أن يكونوا من أهل العلم،

إنهم من أهل الأوراق والشهادات، ولكن ليسوا من أهل العلم،

قرأت وضحكت والله، ضحكت جداً وطويلاً من دارس تخرج أيها الإخوة كلية اللغة العربية ودرس النحو وتخصص فيه :

يزعم أن القرآن ينطوي ويحتوي على مشاكل وعلى أغلاط وأخلال نحوية

شيء عجيب، وهل قال أحد من فطاحلة العرب قبل كذلك، أعني الجاهليين – عرب الجاهلية – هل لحنوا القرآن، هل خطَّؤه يا جويهل، هل قال ذلك **سيبويه** ؟؟ **نصفويه** ؟؟ **ابن هشام** ؟؟

من الذي قال هذا ؟؟

طويلب علم لم يفلح أن يكون طالب علم حتى، جاهل لم يستوعب ما ألقي إليه، والله لم يستوعب، طبعاً الذي يحزن ويغضب للأسف الشديد أن أمثال هذه التشغيبات والتشكيكات حين تلقى إلى أناس **خلو من العلم والمعرفة** للأسف تفعل فيهم فعلها أيضاً،

وأنا أشم هذا من رائحة السؤال، نوع من المعاناة، من معاناة الريبة،

كأنه يطوي جوانحه على إيمان وثيق برسول الله، نعم لا شك،.

المقطع الرابع: إيمان العجائز إيمان غير مبرهن

لكن هذا الإيمان غدا الآن غير مُبرهن،

هذا الذي أفهمه من السؤال للأسف ومن صيغة السؤال،

من المرارة والحيرة والتردد التي يصطبغ بها صوت السائل، إيمانه بمن جاء، لكن هذا الإيمان ليس مبرهناً، **إنه إيمان العجائز**، الذي بات هذا السائل المسكين يخشى عليه.

المقطع الخامس: عندما يصبح الدين في مهب رياح الشبهات

وسأقول كلمة قد تكون محرجة، هذا أيها الإخوة وأمثاله هو الذي يدين كل قاعد عن تكميل نفسه علمياً،

لماذا تجلس ؟؟

لماذا لا تقرأ ؟؟

لماذا لا تستمع إلى العلماء ؟؟

لماذا لا تأتي وتزاحم العلماء في حلق العلم والذكر والفقه ؟؟

تجلس **بطالاً عطالاً** ثم بعد ذلك **يصبح دينك نهباً لشبهةٍ خسيسةٍ سخيفةٍ متسفلةٍ.**

هذا شيء محزن ومغضب جداً وقد جربناه غير مرة،

في رمضان لم يأتنا واحد أو اثنان أكثر من ذلك،
آحاد لم يبلغوا العشرات،
لكن آحاد من رواد هذا المسجد المبارك،

المقطع السادس: مع قبطي نصراني مصري أحفوري

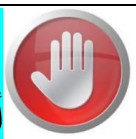
أيضاً نفس الشيء صوتهم يتلجلج أيها الإخوة ويجمجمون بشبهات ألقاها قبطي نصراني من مصر في قناة الحياة الفضائية، حول القرآن وناسخه ومنسوخه فجاءوني متشككين،

قلت:

هذا **القمص**، دليل قاطع على أن **الأحفورية** يمكن أن تمشي على قدمين.

ذلك أن الرجل يدفن رأسه في التراب ، **نافيا دخول التحريف** على كتب العهدين القديم والجديد، رغم اعتراف **الكنيسة البابوية** بذلك، وبعد معاندة مستميتة دامت لأزيد من أربعة عشر قرناً، وفي وثيقة رسمية صدرت من مجمع فاتيكان الثاني سنة **1965** م.

وهي حقيقة قال بها القرآن الكريم وتحقق منها الإمام ابن حزم الأندلسي في كتابه المعلمة: "الفصل في الملل والنحل" ومهد به لقيام مدرسة أوروبية في النقد التاريخي للكتب المقدسة، على ما حققنا في كتابنا المطبوع:

"مدرسة ابن حزم الأوروبية في النقدية التاريخية للكتب المقدسة: رسالة في التسامح"

http://www.alhiwar.org/ar/index.php/mainmenu-29/22---ae-/36-sp-469140630

وهو ما يمكن تلقفه اليوم مباشرة، وبدقة وبتفصيل، مـــن **متخصصين غربيين** في الكتب المقدسة، وليس من المسلمين فحسب، على خلاف ما يعتقد الرجل.

أنظر التسجيلات التالية:

ـ "كيف تم تحريف الإنجيل" الدكتور بارت أيرمان على "يو تيوب"

وهي ست محاضرات، مدبلجة باللغة العربية، يمكن تتبعها على الموقع التالي:

http://www.youtube.com/watch?feature=player_detailpage&v=QHj_bsrYkrY

ـ و مناظرات الشيخ أحمد ديدات على اليو تيوب على الرابط التالي

http://www.youtube.com/watch?v=ZEf2J0pk1I0

ومن شبهاته التي يموه بها على من لا يعرفون دينهم:

1) **القول بوجود أخطاء نحوية في القرآن**، على ما سيتلقف منه النحوجي الـــوارد ذكـــره أعلاه،
2) و**القول باغتصاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين**، علـــى مـــا سيتابعه عليه هذا المتعالم النحوجي الجهول!!....

وغيرها من تراهاته.

وقد انبرى لفضح هذا الضال زمانه الكثير ممن تخصصوا في فلي شبهاته والرد عليها.

فانظر ردودهم على الشبهتين أعلاه، على الموقعين التاليين:

أ) المصادر التى يعتمد عليها زكريا بطرس فى خداع مشاهديه

بقلم أ / محمد جلال القصاص ، على الموقع التالي:

http://zakariahbotros.wordpress.com/2009/10/01/sources-2/

ب) هل فى القرآن أخطاء نحوية ولغوية كما يدعى زكريا بطرس ؟

وهو ضمن ردود للدكتور منقذ السفار

على موقعه في الرابط التالي

http://zakariahbotros.wordpress.com/2010/10/01/3018/

ما هذا؟

لماذا ندفع ضريبة جهلنا ندفع ضريبة العمى الذي نعيش فيه،

لماذا نعيش؟

لماذا لا نستخدم هذه الدرة الجوهرة الإلهية ونكمل أنفسنا دائماً بالعلم،

سذاجة ذهنية وعلمية غريبة جداً، يا إخوان هذا شيء مخيف،

المقطع السابع: لولا الدعاء والابتهال لهلك شيخ الإسلام

قرأت قبل مدة عن واحد من صُلحاء وأولياء وعلماء بل ومشايخ الإسلام في هذه الأمة،

ولن أذكر اسمه، والله، شيخ من مشائخ الإسلام العظام، الذي ترك مئات المجلدات تأليفاً، وبعضنا تنقضي حياته وما قرأ مئات المجلدات قراءة، هذا الشيخ على صلاحه وولايته وتقواه وقد أيده الله بكرامات ظاهرة مع أنه لم يكن من أهل التصوف كما يقال بل كان في الظاهر من أعداء المتصوفة والمتفقرة، وكتب في الرد عليهم الردود المطولة،

يقول هذا الشيخ:

أنه اعترته في حالة مرض شديد برّح به وساوس وتخبطات شيطانية قال فأدمت الإبتـــهال إلى الله ولولا أن الله ثبتني لهلكت، نبيكم المعصوم علية الصلاة وأفضل السلام هو الذي كان يبتهل إلى الله ضارعا وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، ليس بالسهولة أيها الإخوة، **ليس باليسر أن ننجو هكذا بإيمان قزم**، بإيمان على قواعد رملية أو ملحية، لمن يتزلزل ويتخلخـــل أمـــام أدنى شـــبهة، مقدمات للأسف أطلت في سردها، لكن لا بد مم ليس له بد كما يقال،

المقطع الثامن: النَحْوَجي يتهم الرسول (ص) بالشهوانية

يزعم أيها الإخوة **هذا الذي يتقنع بقناع النقد** ولو قد صاغ ما اعتمل به صدره وفؤاده في شكل سؤال أو حتى تشكك لهان الخطب، لكن أن يفرغ ما عنده في شكل **ما يسمى بالإنتقاد اللاذع الساخر المتنقص في خير البرية ثم يزعم أنه مسلم** هذا ما لا يتماسك في ذهن المحترم،

لا أستطيع أن أفهمه، يزعم أنه مسلم ويسخر من نبيه، كيف تصدقه إذاً ؟،

كيف تصدق هذا النبي وتؤمن بكتابه ورسالته وأنت تزعم أنه والعياذ بالله – اللهم غفراً واغفروا أنتم أيضاً لي – **أنه زير نساء، أنه دنجوان، شخصية دنجوانية، أنه رجل شَهْوان، أنه رجل لا يضبط عواطفه – أعني ملكاته وتوابعه الغرزية** – وأنه أحرج صاحبه وأخاه وخليله أبا بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه حين أراده على أن يزوجه صغيرته، طفلته الصغيرة جداً، الـــتي تـــدرج لا تزال، عائشة، وأبو بكر يتمنع والنبي يصر ويلح وأبا بكر يتمنَّع حتى أحرجه وأوقعه في هذا الحرج ووافق أبو بكر مضطراً على أن يزوج بنتاً في السادسة من عمرها لرجل كبير، أيها الإخوة في سن أبيها تقريباً،

هذا الذي يقولوه، فكيف الجواب عن هذا ؟؟

طبعاً شبهات كثيرة وهذا المحقور المنذور المعرفة والذي غلب على عهده ودينه معاً، حسبما قال لي الأخ الناقل أتى **بمجموعة من الأسئلة وهو يتحدى، تتحدى من ؟**

سنرى.

فقط نريد من هذا أن يكون كما يقال نموذجاً سابريا – نموذجا للعرض-، **كيف تكون الشبهة وكيف يجاب عنها؟** وأنا **أتيت لهذه الشبهة لأنها قوية**، وأيضاً بعض المغلوبين على عقولهم يرددونها من المسلمين والغربيين، **بنت صغيرة ست سنوات** قال لي هذا الأخ: كتب هذا الرجل:

هذه جريمة يعاقب عليها القانون المدني،

إذا كان **محمد عليه السلام** عليه أن يعاقب على زواجه من **عائشة هكذا!!!**،

المقطع التاسع: المرأة والفطرة والرهبنة والخير والشر

قبل أن نخوض في الجواب المفصل أيها الإخوة بوجوهه عن هذا السفه – لا أقول شبهة – السفه عن هذا السفه، وهذا الخبط، لابد أن أذكر بما ذكرناه في صدر الخطبة السابقة، **سرٌ رئيسٌ من أسرار عظمة هذا الدين،**

أنه جاء ليناغم ويتجاوب ويستجيب لفطرة الإنسان، لطبيعة الإنسان.

هذا التناغم والتجاوب والإستجابة هي التي يتغنى الآن بها بعض الفلاسفة الليبراليين ويترحمون على أيام لم تكن هذه المسألة – مسألة التجاوب والتناغم – موضع جدال، كان يعادل في الفلسفة الأبيقيرية والأفلاطونية عند أفلاطون أيضاً الفيلسوف المثالي الشهير أستاذ أرسطو بين الطبيعة والخير، **كل ما هو طبيعي هو خيّر،**

الله خلق لك هذه الطبيعة ذخّر فيك وحشر إلى أرض خلافتك هذه الملكات والمواهب والغرائز فهذا خير، لكن المسألة:

كيف تتعامل معها ؟،

كيف تعلي شأنها؟،

كيف تقوم باحترامها واعتبارها، حفظ اعتبارها دائماً؟،

هذه هي المسألة، لا أن تتسفل بها، وكل هذه الملكات،

ثم جاءت الأديان!!!! وشوهت!!!! هذه الإســـتجابة أيهـــا الإخوة، وعادلت بين الطبيعي والشرير، ساد الطبيعة شراً، **وضربت المسيحية أردأ الأمثال في هذا الباب**،

لقد كانت المسيحية إلى وقت قريب جداً وربما لا تزال نسبياً **تنظر إلى جمال المرأة ورُوَائها على أنه وجه للفتنة الإبليسية**،

فمن أراد أن يحفظ تقواه ودينه واستقامته فليناً بنفسه عن عالم المرأة كلية، **ليترهبن أصلاً**،

لأنها عالم ممسوس بالشيطان، بل عالم معاد للشيطان معاد للشر نفسه وهذه **نزعات بنادورية** –بنادورا بندوروس فوكس – متحت وأخذت واستمدت من الأساطير الميثولوجيا الإغريقي، وليس من **دين عيسى الحق** الذي أنزله الله عليه دين الله لا يتناقض ولا يتشاكس وبهذا الموقف كما قلنـــا في الخطبة السابقة نشأت مشكلات الطبيعة ومشكلات الدين معا.

المقطع العاشر: نيتشه والإسلام

إن الفيلسوف الملحد أيهـــا الإخـــوة **فردريك نيتشه** الذي **وقف موقفاً متصلباً جداً من المسيحيين**

وجهر بذلك على طول حياته ومداها،

كتب يقول أيها الإخوة معلياً من شأن الإسلام،

وهذا في أربعة كتب من كتبه وليس في كتاب واحد،

نيتشه، كتب يقول أيها الإخوة بالحرف الواحد:

الإسلام خارج دائرة هذا النزاع كله، أبداً لا دخل للإسلام في هذا النزاع السخيف، النزاع حول طبيعة الإنسان وملكاته وواقعية التعامل معه ومع قدره وإمكانات الإسلام خارج النزاع بتاتاً،

يقول نيتشه أيها الإخوة:

الإسلام يرى البدء أو البداية أو البداءة من الإنسان قبل أي شيء، كما قلنا نحن مرة، يمكن أن تلخص **فلسفة!!!! الإسلام الإنسانية بقول:**

إن الإسلام يرى الأولوية للإنسان، أولوية الأولويات هي الإنسان وأولوية الإنسان هي الحرية،

قلت:

هل للإسلام فلسفة !؟

نعم قبل العبادة، قبل التوحيد، الحرية أولاً، وبعد ذلك يأتي التوحيد، وقد أفتى علماؤنا أو على الأقل جماعة منهم كابن كمال باشا[1] **رحمة الله عليه وغيره على ما في** حاشية ابن عابدين[2] **خاتمة محققي السادة الحنفية بأنه:**

لو وقع تنازع في طفل بين رجلين، رجل يزعم أنه عبده، رجل مسلم يزعم أن هذا الطفل عبده، ورجل كافر يزعم أن هذا الطفل ابنه، قال:

[1] **هو: القاضي الحنفي شيخ الإسلام: شمس الدين: أحمد بن سليمان بن كمال باشا زاده** (873 هـ/1469 م - 940 هـ / 1534 م) صاحب التصانيف..

[2] هو الشيخ الحنفي فقيه الديار الشامية في عصره.: **محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي ()** 1198 هـ1784- 1252هـ/1836 م) وتسمى الحاشية:: "رد المحتار على الدر المختار".

يقضى به كابن لأبيه لأن الحرية مقدمة على الدين،

قفَّ شعر رأسي، هكذا كان يفهم الدين، لا أن تغتال الآن كل الحريات حتى حرية الـــتفكير أو حرية الرأي والتعبير باسم الدين أيها الإخوة، على أيدي معاتيه ومخابيل، هذا إسلام الأئمة، هذا إســـلام الجهابذة المحققين، رضي الله عليهم أجمعين، هكذا كتبه نيتشه، لقد قال نيتشه:

لقد سُرقنا، سرقتنا المسيحية وآخر سرقات المسيحية لنا أن سرقتنا من التراث العظيم المنير ـ يقول ـ **الإنساني، تراث " المور " يعني العرب " المورسكيين " تراث المور ببلاد الأندلس ،**

قلت:

قال نيتشه في كتاب: "المسيح الدجال" في الفصل 60، ص 178 ــ 177 من الكتاب الإلكتروني في مشروع غوتنبورج :[3]

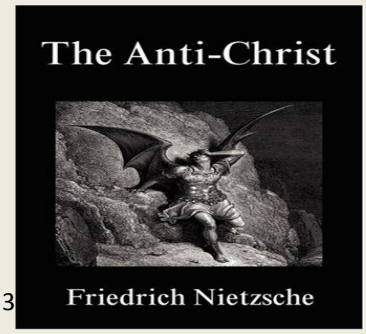

سرقتنا المسيحية من حصاد ثقافة العالم القديم، وذهبت بعد ذلك إلى سرقتنا من حصاد ثقافة الإسلام. وديس إلى أسفل العالم الثقافي الموريسكي الرائع من إسبانيا، الذي هو أوثق صلة بنا في العمق، ويتحدث مباشرة إلى حواسنا وذوقنا أكثرمن يونان وروما، (–لا أقول بأي نوع من القدمين–):

لماذا؟ لأنه كان نبيلا، لأنه كان يدين بأصله إلى **الغرائز الرجولية**، لأنه قال نعم للحياة حتى في الدخائر النادرة والرائعة للحياة الموريسكية!...

وفي وقت لاحق حارب الصليبيون شيئا كان أولى بهم أن يلقوا بأنفسهم في الغبار أمام ــ ثقافة، لو قورنت بها، حتى ثقافة قرننا التاسع عشر، لاعتبرت الأخيرة نفسها بحق فقيرة جداً ومتخلفة.

إن الارستقراطية الألمانية غائبة تقريبا من تاريخ الثقافة العليا: يمكن للمرء أن يخمن السبب...المسيحية، والكحول– يعني أعظم وسيلتين للإفساد...

[3] F. W. Nietzsche :The Antichrist, Translator: H. L. Mencken, Release Date: September 18, 2006 [EBook #19322], par; 60, pp. 176 – 177.

لأنه في نفس الأمر، لا ينبغي أن يكون هناك خيار في هذه المسألة بين الإسلام والمسيحية،
كما هو أقل ما ينبغي عند الخيار بين عربي ويهودي [...] فالمرء إما أن يكون "شندالا"[4] أو لا يكون...

"الحرب حتى السكين مع روما! والسلام والصداقة مع الإسلام! ":

هذا ما شعرت به النفس الحرة العظيمة، والعبقرية الفذة من بين الأباطرة الألمان:

فريدريش الثاني [5] ، وهذا ما فعله.

قال: لقد ظلت الحمّامات العامة، وهذا جانب يترجم أيها الإخوة ويعكس اهتمام الإسلام الأصيل، بماذا ؟ بالبدن من خلال الإنسان المادي، النظافة الخارجية كما الداخلية، ليس فقط الداخلية بلا نظافة خارجية، قال:

لقد ظلت الحمامات العامة هناك مائتين وسبعين سنة !!![6]،

وأول ما غلبْنا– غلب المسيحيون على الأندلس –قال أغلقوا مباشرة كل تلكم الحمامات، لقد سرقنا قال، من التراث الإسلامي العظيم المنير بلاد المور، هذا ما قاله نيتشه.

قلت:

وقد تعددت تلميحات نيتشة للإسلام حتى في رسائله إلى أخته وبعض أصدقائه.

فقد جاء في رسالة كتبها إلى أخته[7]:

---

[4] "شندالا": كلمة سنسكريتية تطلق على شخص يعنى بالتخلص من جثث الموتى، وهي الطبقة الدنيا في المجتمع الهندوسيي، المعبر عنهم ب"المنبوذين".

[5] (1194 – 1250م)

[6] قلت (عمراني) وهل الدكتور عدنان إبراهيم هنا. لقد قال نيتشة في: "المسيح الدجال"، الفصل 22، ص. 72.

كان أول أوامر المسيحية بعد طرد الموريسكيين: إغلاق الحمامات العامة، التي تواجدت منها 270 في قرطبة لوحدها.

[7] letter to Elisabeth Nietzsche, 11 June, 1865, Cited in R. J. Hollingdale, Nietzsche (London: Routledge, 1965) p39. This article first appeared in German Life and Letters 55:1 (Blackwell) January 2003

لا يزال عندي سؤال أخير: لو كنا قد اعتقدنا منذ الصبا فصاعدا: أن كل الخلاص قد صدر من شخص آخر غير يسوع، من محمد مثلاً، فليس أكيداً أننا كنا سننعم بذات النعمة.

قلت:

يجب ألا يعزب عنا طرفة عين أن **نيتشه** **ملحد** أولاً وأخيراً.

ولئن كثرت مطالعاته لما كان يصدر عن المستشرقين من مؤلفات حول الإسلام في أواخر حياته قبل أن يصاب بالجنون، إلا أن هذه المعطيات الاستشراقية كانت ملغومة في العمق، على ما بين النقاد.

وتبين أن بقدر ما استعمل المستشرقون، كخدام سلطة، تلك المعطيات لتشويه الإسلام، بقدر ما قلب عليهم **نيتشه** الطاولة، كمعارض جدري للأنظمة، بتأويله النقيض لها.

وهو عادة ما يلفت نظر من أعجبوا بكتاباته من أوائل العرب والمسلمين الذي درسوا في ألمانيا أو فرنسا أو الغرب عامة.

يقول أحد هؤلاء وهو: الدكتور عبد الرحمن بدوي (1917 م - 2002 م)

في سيرته الذاتية[8]:

وقد كان أول إنتاج لي هو كتاب "**نيتشه**" الذي ظهر في أكتوبر سنة 1939 عند الناشر: مكتبة النهضة المصرية،...

ويدخل في الاتجاه الثاني، وهو تقديم الفكر الأوروبي إلى القارئ العربي، ولهذا وضعته داخل سلسلة سميتها: "خلاصة الفكر الأوروبي". وقد حددت في تصديره أن الهدف من هذه السلسلة هو تقديم خلاصة الفكر الأوروبي إلى القارئ العربي، والدافع إلى ذلك هو إحداث:

ثورة روحية في الفكر العربي.

إذ وجدت أن السبيل إلى ذلك هو أولاً الاطلاع على الفكر الأوروبي الذي استطاع أن يحقق تقدماً عظيماً في الفكر الإنساني فيما تخلف العقل العربي ــ الإسلامي عن متابعة تطور الفكر الإنساني منذ القرن الثالث عشر.

وكما أن معرفة التراث اليوناني هي التي أوجدت نهضة!!! الفكر الإسلامي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وما تلاه،

---

[8] عبد الرحمن بدوي : "سيرة حياتي" (1: 150 - 151)، ط. أولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000 م.

فإني رأيت أن معرفة الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر هي الكفيلة بإحداث نهضة في الفكر العربي والإسلامي.

كما قلت في ذلك التصدير أنه لا جدوى من العودة على القيم القديمة التي سادت الفكر الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى منه، وإنما الدواء الناجع لتخلف العرب الفكري هو الاستفادة من الفكر الأوروبي، ويكون ذلك باستيعابه كله والأخذ بالقيم التي وضع أصولها!!!! ما دامت تقوم على أساس عقلي!!!!! إنساني عام!!!!

فواضح أن بدوي يريد أن يحدث ثورة روحية!!! في العالم العربي والإسلامي وليس أي ثورة!!!

لكن من سيكون أنموذجه الروحي هذا ؟

الملحد المادي الجذري: نيتشه!

وبأي مبرر ؟

دعوى كون: القيم التي وضع أصولها الفكر الغربي تقوم على أساس عقلي!!!!! إنساني عام!!!

وهي دعوى متهافتة لا يقول بها عاقل في الغرب نفسه اليوم!.

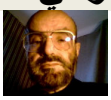

قلت:

وأنقل فيما يلي رجع صدى لمثل هذه الثورة الروحية!!! في الجيل التالي لبدوي من خلال حوار أجراه الدكتوران النمساويان: **أرنو بوبوهلر** (Arno Böhler) (1963 م – ..) و**سوزانة غرانسر** (Susanne Granzer) من مجموعتي: **"دائرة ـ نيتشة نيويورك"** (Nietzsche-Circle New York) و **"غرينتز ـ فيلم فيينا"** (GRENZ-film Vienna) مع الكاتب والمترجم التونسي: **علي مصباح**

حول ترجمته لبعض أعمال **نيتشة** إلى اللغة العربية، بغية التعرف على حيثيات هذه الترجمة والغاية من هذا المشروع، أقتطف منه الفقرات التالية وعلى طولها:

ـ سوزانة غرانسر: وكيف تترجم عبارة " Gott" إلى العربية؟

ـ علي مصباح: بعبارة "الله " طبعا هناك تنويعات بحسب الموقع والسياق الذي ترد فيه هذه العبارة.

فأحيانا تكون عبارة "الربّ" هي الملائمة، أو "الإله " المرادف لعبارة " der Gott" في الألمانية. لكن

عندما يتعلق الأمر ب: "Gott" فتكون العبارة المناسبة هي: "الله". إذ كلمة الله، وخلافا لما يعتقد أغلب الناس في أوروبا والغرب عامة، ليست كلمة لتسمية إله المسلمين فقط، بل لإله الجميع، وأعني بذلك إله الديانات التوحيدية الثلاث وهو واحد . ذلك أن الإسلام يرى إلى نفسه كتواصل للديانتين اليهودية والمسيحية ومتمم لهما، أي كشكل لتطور الرسالة الإلهية الذي بدأ مع اليهودية والمسيحية، بل منذ نبوة إبراهيم،

وليس الإسلام سوى مرحلة تاريخية متقدمة في مسار هذه الرسالة. أما نصوص الترجمات العربية للأناجيل (العهد القديم والعهد الجديد) تستعمل هي أيضا عبارة "الله " وخلال ترجمتي لكتابات نيتشة أعمل كثيرا على مراجعة الكتاب المقدس في ترجمتيه الألمانية والعربية، ذلك أن كتابات نيتشة، و"زرادشت" خاصة تتضمن إحالات وإشارات كثيرة على الأناجيل. إذًا غالبا ما أترجم عبارة " "Gott ب:"الله "، وفي بعض الأحيان استعملت عبارة "الرب". وقد ترجمت مقولة نيتشة الشهيرة:

" Gott ist tot" بـ: "إن الله قد مات".

ـ أرنو بوهلر: كيف كانت ردة فعل الناس في البلاد العربية على مقولة:

"إن الله قد مات" ؟

ـ علي مصباح: هذه المقولة تطرح إشكالا بطبيعة الحال على المؤمنين، ذلك:

أنها تمثل مقولة إلحادية

بالنسبة إليهم.
قبل سنتين على سبيل المثال دعيت لتنشيط أمسية أدبية في مدينة طانطان بالجنوب المغربي.
وبعد مداخلتي طلب أحد الحاضرين الكلمة ليقول لي حرفياما يلي:

"عندما التقينا بك قبل نصف ساعة اعتقدت أنك رجل طيب. لكن ها أنني أرى الآن من خلال هذه الورقة عن سيرتك الشخصية بأنك قد ترجمت كتابين لنيتشه. وأنت تعلم أن نيتشة كان يحتقر الإنسان عامة ويدعو إلى عدم الرأفة بالضعفاء، كما أنه **ملحد معلن** وهو القائل: **"إن الله قدمات"**

لم يكن المقام مناسبا للخوض في مثل هذا النقاش فموضوع الأمسية كان عن الأسفار والرحلات وأدب الرحلات. لذلك اكتفيت بأن ألفت انتباه صاحب الملاحظة إلى أن نيتشه قد ولد وترعرع في وسط مسيحي، وأنه إبن لخوري كنيسة بروتستانتية، وبالتالي فإن جملة **"إن الله قدمات"** لا يمكن أن تفهم إلا داخل سياقها المسيحي والمعتقد الذي يعتبر عيسى ابن الله وأنه صلب وقتل .

والآن عندما أعود بذاكرتي إلى تلك الفترة البعيدة عندما قرأت: "هكذا تكلم زرادشت" " لأول مرة وأنا في **الثامنة عشر من عمري**، مثل عدد من أصدقائي **بالمدرسة الثانوية** آنذاك، وكيف طلعت لنا تلك الجملة !
أرنو بوهلر: ألا تمثل ترجمة ونشر كتاب يحتوي على عبارة **"إن لله قد مات"**

خطرا على المترجم والناشر معا؟

ـ علي مصباح: لا أظن أنني سأقتل من أجل ذلك أو أن **أكون ضحية لعملية اغتيال سلفية** لا لشيء إلا لأنني ترجمت نيتشةإلى اللغة العربية. لا، لا أعتقد. وعندما كنت مقيما في تونس وأعمل كمدرس مدرس وصحافي لم أكن لأخفي قناعاتي وآرائي دون أن يؤدي بي ذلك إلى القتل. كانت لي مشاكل بين الحين والآخر بطبيعة الحال. تماما مثل كل الذين لا يتلاءمون ولا يقبلون بالانسجام مع السائد. كنا جميعا نتعرض إلى مشاكل ومضايقات.

ليس من السهل بطبيعة الحال أن يكون المرء ملحدا ويعيش كملحد في بلاد مسلمة . إنه فعلا أمر صعب...

لكن هنا أيضا في ألمانيا وأوروبا ليس من السهل أن يسبح المرء ضد تيار الأفكار السائدة والنظام السائد، وما بالك بالوقوف موقف المناهض لها. وعلى أية حال فإنه لا يمكن أن نقول **بأن رقابنا تغازل حد السكين سبب ترجمة نيتشة** (ضحك).

ـ أرنو بوهلر: أريد مع ذلك أن أسأل مرة أخرى: لِم ترجمة نيتشه إلى اللغة العربية؟

لِماذا الآن بالذات؟

هل هناك دواعي محددة لذلك، أو لنقل أسباب لها علاقة بالأوضاع العالمية المحيطة؟

ـ علي مصباح: أكيد أن الحاجة، أو دوافع ترجمة نيتشةإلى اللغة العربية لها علاقة ما بالأوضاع التاريخية الحالية من جهة، أو مضاعفات ما يدعى بالعولمة، و بتجربة جيل بعينه من جهة أخرى **وهو جيل ما بعد ماي 1968**[9].

وأعني بهذا أن أبناء جيلي قد عاشوا مرحلة الثمانينات كمرحلة انتقالية. آنا جميعنا تقريبا نشطين في الأوساط اليسارية في أواخر الستينات وخلال السبعينات.

كان "اليسار" هو الجواب على أسئلتنا آنذاك.

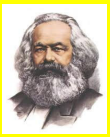

وكان **ماركس** بالتحديد هو صاحب الجواب على أسئلة القرن العشرين وإشكالاته.

لكن مع مطلع الثمانينات راحت تلك القناعات الماركسية ترتج وتتخلخل. وفجأة وجدنا أنفسنا أمام فراغ إيديولوجي مقلق.

في تلك الأثناء اكتشفنا كتابات المفكرين الفرنسيين: "دولوز" (Deleuze)

، و"فوكو" (Foucault)

، و"ليوتار" (Lyotard)

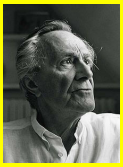

، و"دريدا" (Derrida)

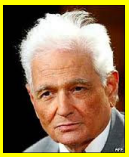

، التي أيقظت فينا اهتماماً متجددا

[9] قلت (عمراني) هذه مشكلة فرنسية صرفة، ولم تعرف سوى بين الطلبة المفرنسيين.

بنيتشه. وكان هؤلاء المفكرون الفرنسيون أساسا-إذا ما استثنينا بعض تأثيرات هايدغر - مقروئين داخل الأوساط المثقفة العربية.

هكذا قفز نيتشه داخل الفجوة التي أحدثها الفراغ الإديولوجي الجديد

وذلك عندما وجدنا أنفسنا **مرغمين على الإعتراف بأن الماركسية لم تعد قادرة على الإجابة عن أسئلتنا الجديدة، السياسية منها والوجودية والفلسفية** على حد السواء- وكذلك الأسئلة المتعلقة بمسائل **الجمالية بالنسبة للكتاب والفنانين**.

لم يعد ماركس ليكفينا.

وفي إطار هذا البحث الجديد عن أجوبة اتجه الكثيرون باهتمامهم إلى **متصوفة الإسلام** أيضا. وقد اكتشفت بدوري **التراث الصوفي** في تلك الفترة.

ولعل كتابات المتصوفة قد مهدت للكثيرين منا الطريق لفهم جديد،
أو تقبل من نوع آخر لأفكار نيتشه،
لا كإيديولوجيا جديدة نريد أن تستعيض بها عن الإديولوجيا الماركسية، بل **كضرب من المغامرة الفكرية**؛ نوع آخر من **ممارسة الوجود والتفكير** كانت تنضح به كتابات نيتشه-أوتومئ لنا به.

لقد شرع نيتشه منذ الثمانينات في القرع بمطرقته داخل عقولنا، يحررها من جديد ويعيد إليها الحياة. **وعي جمالي جديد** وانخراط من نوع جديد في **الحياة** وفي معرفة جديدة تضع نفسها في خدمة السعي إلى ابتداع أشكال حياتية متفردة وجديدة،

ذلك هو ما أصبح يتراءى لنا بمنزلة **المهمة الأكثر نبالة** والأكثر إلحاحا في الآن نفسه.

لم يعد الأمر يتعلق الآن بأي نوع من الإديولوجيا ولا حتى بملاحقة أغراض سياسية بعينها، **بل بابتكار أشكال حياتية جديدة**.

هذا الوعد الذي كانت تلوح لنا بها كتابات نيتشه هو الذي جعل هذه الكتابات تمارس جاذبية علينا في مرحلتنا ما بعد الماركسية، أو ما يمكن أن نعبر عنه بالمرحلة النيتشوية البوستماركسية. تعاطي الفلسفة قرعا بالمطرقة ذلك ما كنا نحتاجه آنذاك، وما نحتاجه اليوم أيضا وأكثر من أي وقت مضى.

أود أن أوضح هنا بأنني لست نيتشويا-ولا ينبغي لي.

كل ما في الأمر أنني أحب كتابات نيتشة، وأرى أن فلسفته **من أعمق ما وجد في تاريخ الفلسفة إطلاقا**.

وعلاوة على ذلك، من بإمكانه أن يفلت من الفتنة التي علاوة على هذا فإنني وبقدر ما تطول معاشرتي لكتاباته كلما ازدادت قناعتي رسوخا بأنها:

هي التي تقدم لنا الإجابات!!! الأساسية عن أسئلة القرن الواحد والعشرين.

إنه بكلمة واحدة **فيلسوف القرن الواحد والعشرين**

هو الذي كان مدركاً بأنه سابق لعصره،

وكثيراً ما كان يردد على لسان زرادشته **بأن ساعته لم تحن بعد،**

وهو الذي قال قولته الشهيرة: **بأن بعض الناس لا يولدون إلا بعد الممات**

.....

.....

- أرنو بوهلر: ما هي المكانة التي يحتلها الفرد داخل الثقافة العربية؟

- علي مصباح:.....

إن ما نحن بحاجة إليه اليومفي العالم العربي هو نوع جديد من **خرق الامتثالية ومن المروق والتفرد**.

نحن بحاجة إلى إعادة تفكير شاملة وإلى قلب لكل القيم ، بما في ذلك القيم وأنماط التفكير الغربية السائدة.

وليس هذا بالأمر الجديد على الثقافة العربية على أية حال، ذلك أن بروز شخصيات فكرية متميزة ومتفردة لم تكن ظاهرة غريبة عن هذا الفضاء الحضاري حتى في فترات فتوة الديانة الإسلامية والسيادة الكلية التي كانت لمنظومتها الفكرية. بل إن الثقافة الإسلامية نفسها قد أسهمت بطريقة أو بأخرى في بروز فرديات متميزة قد كان لها تأثيرها في التاريخ. شعراء أفذاذ على سبيل المثال-والشعراء فردانيون دوما على أية حال! وقد يفاجأ الكثيرون إذاما ذكرت في هذا السياق شعراء ومفكري المتصوفة.

فالمتصوفة كانوا دوما مثالا نموذجيا للتفرد داخل الثقافة الإسلامية .

لقد برزت ظاهرة المتصوفة في نظري كمثال عن تنطع الفرد على سلطة المدارس وعلى المنظومة السائدة لممارسة الإيمان. لذلك ، لذلك بالذات أجد الكثير من المواصفات الذهنية والفلسفية الموازية والمشابهة، بل وأحيانا المطابقة للكثير مما يدعو إليه نيتشه ،

فيلسوف التملص والتنطع على كل السلط والمدارس والمنظومات الفكرية المتأسسة.

وعندما عرفت فترة استدارتي عن الماركسية في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات والتفت مجددا إلى أدب وفكر الصوفية- مثل عدد غير قليل من أبناء جيلي آنذاك - كان لتلك الأشعار والأفكار في ذهني صدى شيء معهود وجديد في الآن نفسه. ولم تعد لتخفى عنا نبرة الفردانية التي تصدح بها كتاباتهم. وأعني هنا تلك الاستقلالية الذهنية، وتوخي طريق المغامرة والاجتهاد الفردي والسعي إلى المعرفة بالوسائل الخاصة.

المعرفة كتعبير عن أسلوب في الحياة، المعرفة كتعبيرعن نمط حياة، وكتعبير عن "ذوق"! آل هذه المفاديم التي تتردد في كتابات نيتشه كانت -وما تزال ترن في مسمعي، لا كأفكار غريبة، بل كأفكار معهودة لدي، قريبة جدا منّي. وبالمناسبة فإن عبارة "ذوق" التي كثيراً ما تتردد على لسان زرادشت هي نفس العبارة التي غالبا ما يستعملها المتصوفة المسلمون للتعبير عن الذائقة الفردية، أو بكلمة أخرى عن التجربة والاختبار الفردي للعالم والوجود.

وبطريقة مدهشة أرى زرادشت يلتقي في الكثير من الأحيان بشخصية

"الحلاج" المؤمن إلى أبعد حدود الإيمان، وكلاهما يولي ظهره إلى تجريدات النظم الفكرية المتأسسة والمنغلقة على المنجز وعلى تحجر العلماء.

ونجد **مولانا جلال الدين رومي** يدعو هو أيضا إلى التحرر من النظم المغلقة والأفكار الجاهزة، ولايختلف عنهما لا **السهروردي** ولا **أبو يزيد البسطامي** أو **النفري**، ولا الشيخ الأكبر!!!: **محي الدين بن عربي**. جميعهم يتحركون داخل حيرة واحدة وجميعهم لا ترضيهم الإجابات الجاهزة التي يقدمها علماء الدين والفقهاء.

بل أن بعض المغالاتية من المتصوفة كانوا لا يترددون في التندر حول المتعلمين والذين لا يردون المعرفة إلا من الكتب ومجالس الفقهاء، حتى أن بعضهم كانوا **يحرمون على مرتادي مجالسهم ومريديهم معاشرة الفقهاء والمدرسين من علماء الدين**.

وتروي إحدى نوادرهم أن أحد المريدين كان يتردد في الوقت نفسه على مجلس أحد العلماء، وعندما يأتي إلى حلقة المتصوفة يحرص على إخفاء قراطيسه وأدواته، وذات يوم وقعت من بين طبات ثوبه في غفلة منه دواة، وإذا أحد الإخوان يقول له زاجرا ساخرا:

"أستر عورتك يا أخي!"

قلت:

قد أطلت في نقل هذا الكلام، لأنه تعبير صادق عن كيف تمت قولبة تفكير جيل من خلال مقررات تعليم أجنبية.

ولئن كان التونســـــي **علي مصباح** تلقف هذا في المدرسة المتفرنسة بتونس، ليربع دائرة غواياته كلها بجمعها في مركز الدائرة، فهناك رجل آخر حكمته تجربة أخرى، حيث تربى في حضن التصوف وتخرج في الفلسفة من ألمانيا، إلا أنه وبحكم ما لُقن في بيئته، لم يكن ليرى في **نيتشه** سوى وريث للفكر الفارسي، أبدل روحه بنزعة مادية!

هذا الرجل هو الشاعر الوحدوي الوجودي: محمد إقبال (1294 هـ/1877 م - 1938 م)

فقد كتب إلى الدكتور **نيكولسن**، رسالة في 24 أكتوبر 1921 م يفند فيها دعوى من ادعوا تأثره بنيتشه[10]:

"كتبت حول مذهب الصوفية عن" الرجل الكامل" منذ أكثر من عشرين عاماً، وقبل وقت طويل من قراءتي أو سماعي شيئا من نيتشه".

ويقول بأنه تأثر في صياغته لمفهوم "**الرجل الكامل**" بكتابات كل من المتصوفين: عبد الكريم الجيلي (1465 م ــ 1508 م) ومحيي الدين ابن عربي (1165 م ــ 1240 م).

وقال معلقاً على مفهوم: "الرجل الفوقي" (***Übermensch***) كما يستعمله نيتشه[11]:

"من المحتمل أن نيتشه أخذه من أدب الإسلام، أو من الشرق، وأنه قد أفسده بنزعته المادية"

وقال في كتابه: "تعليق على نيتشه" في مقارنة بين كتابه هو : "**أسرار النفس**"[12] ونيتشه[13]:

في الجوهر فإن 'أسرارالنفس' ونيتشه، على طرفي نقيض مع بعضهما البعض. يعتمد 'أسرارالنفس" كلياً على حدوث النفس التي لا يؤمن بها نيتشه.

وهذا لا يستنفذ كل من شربوا من هذا المشرب.

---

[10] Letter dated 24 January 1921, to Dr Nicholson. reproduced in S.A. Vahid. Ed., Thoughts and Reflections of Iqbal (Lahore : Sh. Muhammad Ashraf, (1964). p 93.

[11]."Note on Nietzsche" in Vahid, Ed,, op. cit., p. 241. In his footnote Vahid states that this note was dictated by Iqbal to late Sayyid Ivazir Niyazi in the summer of 1937

[12] أسرار خودي

[13] Iqbal's "Letter to Nicholson," Vahid, Ed. op., cit., p. 240

وانظر لمزيد:

Dr Muhammad Maruf; **IQBAL CRITICISM OF NIETZSCHE**
http://www.allamaiqbal.com/publications/journals/review/oct82/3.htm

المقطع العاشر: **لايبنيتز** والإسلام

وأما " **غوتفريد لايبنتز** " الفيلسوف الألماني الكبير والذي كان أيضاً ذا نزعةٍ استعماريةٍ للأسف، وهو الذي أشار **على إمبراطوره باستعمار جزء من عالم المسلمين**[14] كتب في كتابه المشهور: "الثيوديسة" الذي ألفه سنة ألف وسبعمائة وعشرة يقول: [15]

عظمة هذا الدين المحمدي أنه دين الطبيعة يتواءم مع طبيعة الإنسان وهذا يقول وينادي على نفسه بأنه دين الفطرة،

قلت:

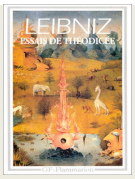

الفقرة المشار إلى معناهـــا هنـــا وردت في:"**الثيوديسة**" (Théodicée) (Theodicy) وجاء فيها[16]:

لم يظهر محمد في وقت لاحق أي انحراف عن العقائد الكبرى للاهوت الطبيعي: نشرها أتباعه في الخارج حتى بين الأجناس النائية من آسيا وأفريقيا، حيث لم تصل المسيحية؛ وقضوا على الكثير من الخرافات الوثنية التي تخالف المذهب الحقيقي لوحدة الله وخلود النفوس في تلك البلدان.

---

[14] ألف كتاب : "الخطة المصرية" (Consilium Aegyptiacum) وعمره لما يتجاوز بعد 24 سنة وقدمه إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر محاولاً إقناعه بأن هجوماً على مصر سيساعد المسيحية على استعادة مجالها الجغرافي وطرد المسلمين منه. وهي خطة بعيدة النظر لغزو فرنسي لمصر، بغرض ضرب عصفورين بحجر واحد: صرف نظر الملك الفرنسي عن غزو ألمانيا، وصرف العثمانيين عن النمسا وهنغاريا. لكن خاب أمله لأن الملك الفرنسي لم يقع في الفخ، لعلاقته الوطيدة مع الباب العالي. ونص الخطة يوجد في المرجع التالي:

"Consilium Aegyptiacum " (1671), Leibniz, Sämtliche Schriften 4:1, 399

[15] هذا هو الكتاب الوحيد الذي نشر في حياة لايبنيتز، سنة 1710 م ونشره بالفرنسية تحت عنوان: { *Essais de Théodicée sur la bonté de Dieu, la liberté de l'homme et l'origine du mal* } "الثيوديسة: مقالات في العدل الإلهي، حول طيبوبة الله، وحرية الإنسان وأصل الشر" وهو موجود على الأنترنيت ضمن مشروع عوتنبورغ للكتاب الإلكتروني تحت عنوان:

"Theodicy: Essays on the Goodness of God, the Freedom of Man and the Origin of Evil"،

[16] *ص.. 51* ضمن مشروع عوتنبورغ للكتاب الإلكتروني.

لقد وجد " غوتفريد لايبنتز " ما يمكن أن يُعلي من شأن هذا الدين بهذا الموقف باتخاذ الإسلام هذا الموقف الأصيل الواقعي.

قلت:

موقف لايبنيتز من الإسلام لم يكن ليتطور كثيراً من خلال وضعه كسياسي، ورجل بلاطات، وعالم سلطة ل "الأسرة الهابسبورغية النمساوية"، وظرفه الجيوسياسي، وموقفه من العثمانيين إبان حرب البلقان المتوجة بحصارهم لمدينة فيينا سنة 1683 م.

فقد ظل يصف المسلمين ب "الأعداء الوراثيين"، و"الأعداء الأبديين"، بل لا يرف له جفن وهو ينعتهم ب "البرابرة المتوحشين"، ولا أنه يخجل من وصف الأتراك بالكسالى، والمصريين بالماجنين،....

وقلما كان يُسلم، حتى في أحلك كوابيسه الشوفينية، بأن المسلمين يمتلكون خصالاً أخرى خارج هذا القاموس المتشنج، وإن فعل، وهذا قليل، فلا يرضى بأقل، من أن يمحو كلام الليل كلام النهار، بمسح هذه الخصلة الحميدة ، بعد اعترافه بوجودها فيهم، بنعتهم بالضالين!.

وقد حكم موقفه هذا من الإسلام عاملان:

أ) الأول عقدي: وتمثل في عقيدته المسيحية، التي شب على الاعتقاد بصوابها، وبخطأ كل ما خالفها!،

ب) الثاني: مهني كخادم سلطان: من خلال مناصبه ك مستشار سياسي و كرئيس لأكاديمية العلوم النمساوية، التي كان هو من اقترح تأسيسها على **الإمبراطور فريدريك الثالث**, لتضاهي أكاديمية العلوم الفرنسية، التي انتسب إليها كعضو خارجي.

بالإضافة إلى تصوره للإسلام والمسلمين من خلال **مصادر رهبانية أو استشراقية مغرضة**، على ما أظهرت أعمال العديد من الباحثين المعاصرين، كما نجد عند كل من:

ـ الفرنسي:" فيرنان بروديل" (Fernand Braudel) (1902 م ـ 1985 م) في كتابه المنشور سنة 1949 تحت عنوان: "البحر الأبيض المتوسط وعالمه في عصر فيليب الثاني" (*La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'Epoque de Philippe II*)

ـ و**البريطاني:** نورمان دانيال (Norman Daniel) في: "الإسلام والغرب صناعة صورة"

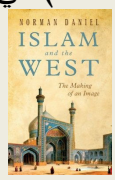

(Islam and the West: The Making of an Image)، المنشور سنة 1960 م.

ـ **والبريطاني:** ريتشارد. ويليام. سوذرن (Richard William Southern (1912–2001))

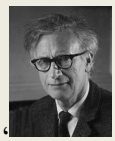

، في "صورة الإسلام في الغرب في القرون الوسطى " (Western Views of Islam in the Middle Ages) سنة 1963 م

ـ **والمصري:** أنور إسكندر عبد المالك (1924 م ـ 2012 م) في مقالة منشورة بالفرنسية في مجلة "ديوجين" تحت عنوان "الاستشراق في أزمة"[17]،

ـ **والفلسطيني:** إدوارد سعيد (1935 م - 2003 م) في كتابه

المنشور سنة 1978: "الاستشراق"،

[17] L'orientalisme en crise », Diogène 44, 4e trimestre, 109-142, 1963

ـ والبريطاني: "دانيال غوفمان" (Goffman, Daniel) في كتابه المنشور سنة 2004 تحت عنوان: "الإمبراطورية العثمانية وأوروبا الحديثة المبكرة" (The Ottoman Empire and Early Modern Europe)

ولعل خير من تخصص في تفكيك خطابات المفكرين الألمان وعلاقتهم بالإسلام والمسلمين:

ـ البريطاني: يان ألموند (Ian Almond) في سلسلة كتبه:

1) "تاريخ الإسلام في الفكر الجرماني: من لايبنيتز إلى نيتشه"، (2009 م)

History of Islam in German Thought: From Leibniz to Nietzsche (Routledge Studies in Cultural History)

2) "التصوف والتفكيك: دراسة مقارنة بين دريدا وابن عربي"

Sufism and Deconstruction: A Comparative Study of Derrida and Ibn 'Arabi (Routledge Studies in Religion) (2004)

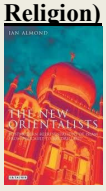

3) المستشرقون الجدد: التمثيل ما بعد الحداثي للإسلام من فوكو إلى بودريار

The New Orientalists: Postmodern Representations of Islam from Foucault to Baudrillard (2007)

4) عقيدتين، راية واحدة: عندما مشى المسلمون مع المسحيين خلال ساحات الحروب

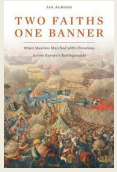

الأوروبية (2009)

Two Faiths, One Banner: When Muslims Marched with Christians across Europe's Battlegrounds

قلت:

فلئن غض المرء الطرف أولاً عن مؤلفات لايبنيتز إبان الحرب في البلقان، التي خصص للحديث عنها كتابين وهما:

1) "أفكار بشأن تراجع مؤسف من هنغاريا" {Thoughts on the Unfortunate Retreat from Hungary (1683)}

2) و"بعض تأملات في الحرب الراهنة في هنغاريا" {Quelques **réflexions sur la présente guerre de Hongrie** (1683)}

ثم غض الطرف ثانياً عن المغالطة المفضوحة التي ظل يصور فيها حصار فيينا كحصار من المسلمين للمسيحيين، بينما الحقيقة العارية على الأرض تقول بأن المسلمين لم يمثلوا سوى نصف الجند والنصف الآخر مثله مسيحيون حاربوا إلى جانبهم طواعية[18].

فكان لهذا المرء أن ينتظر منه، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وبعد أن توفرت له الكثير من المؤلفات عن علوم الإسلام التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية في أواخر أيامه، أن يتسم موقفه بالتسامح الديني مع المخالفين من داخل المسيحية ومن خارجها، وبخاصة مع المسلمين.

لكن، وباستعراض مواقفه بعد الحرب فإننا نجده يكتب في سنة 1687 م في: "تأملات حول الحرب"[19]:

من الصعب جعل العالم يعتقد أن الأسود أبيض، ذلك أنه من أجل إنجاز السلام يتعين على المرء أن يحمل السلاح الذي يدمره (أي: السلام)، وبأنه من أجل صالح المسيحية، يتوجب على المرء كسر جميع الروابط المقدسة للمسيحية، بل وحتى مهاجمة ملك كاثوليكي، في حين أنه على وشك تحرير أوروبا من طاعون المحمدية[20]

[18] Ian Almond, Two faiths one banner, Chapter Four. Muslims, Protestants and Peasants: Ottoman Hungary 1526-1683, p. 20.

[19] "Réfexions sur la guerre" (1687). Leibniz, ed. Deutsche Akademie der Wissenschaft,Sämtliche Schriften und Briefe (Berlin: Akademie Verlag, 1923–) 4:3, 776

[20] "طاعون الإسلام" لأنه ينسب الإسلام إلى النبي محمد.

ومع ذلك نجده لا يفتأ يطنطن حول أريحيته المزعومة في التسامح في رسالة كتبها إلى عضو الأكاديمية الفرنسية: "**جيل فيلــو دي بييــت**" (**Gilles Filleau des Billettes**) (1634 م ــ 1720) في 21 أكتوبر سنة 1697 م، جاء فيها[21]:

شريطة أن يتم تحقيق شيء ذي بال، فأنا غير مُبال بما إذا كان يتم ذلك في ألمانيا أو فرنسا، لأنني ألتمس الخير للبشرية. فأنــا لــست مــن محبــي الإغريق، ولا من محبي الرومان، بل محب للخير!!!!.

وكل إناء ولا شك بما فيه يرشح.
ولو علم الله فيه خيراً لأتاه خيرا.

انتهى ويليه:

الجزء الحادي عشر

المقطع الحادي عشر:

"حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء"

[21] From a letter to des Billettes (December 1696), L. E. Loemke, ed. Philosophical Papers and Letters, vol.2 (Dordrecht: Kluwer, 1989), 2:475.